سلسلة مؤلفات القديس يوستينوس

١

نص خطاب

القديس يوستينوس

إلى الامبراطور الروماني

"انطونيوس"

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

نص خطاب القديس يوستينوس إلى الامبراطور الروماني
(القرن الثاني)

مترجم عن :

Textes et documents pour l'étude historique du Christianisme publiés sous la direction de Hippolyte Hemmer et Paul Lejay.

Justin

APOLOGIES

Texte grec, traduction française, introduction et index par .

Louis Pautigny
agrégé de l'université

Paris 1904

فهرست

مقدمة

نبذة عن حياة القديس يوستينوس .

نص خطاب القديس يوستينوس .

الباب الأول : دفاعه عن المسيحيين

١ - تهمة اسمية .

٢ - الاعتراف بالإيمان .

٣ - عرض نزاهة المسيحيين .

٤ - عبادة الله .

الباب الثاني : تعاليم الديانة المسيحية

١- الطهارة .

٢ - الرحمة والمحبة لكل الناس .

٣ - الوداعة والتواضع .

٤ - التمسك بالحق .

٥ - بشأن الأحكام والقوانين .

الباب الثالث : طقوس الكنيسة في العصور الأولى

١ - الموعوظون .

٢ - العماد .

٣ - سر الشكر .

٤ - اجتماعات يوم الأحد .

٥ - دعوة الامبراطور إلى العدالة والحق .

الباب الرابع : خطوطات الأنبياء - النبوات عن المسيح - حياة المسيح وموته وقيامته المقدسة .

١ - نبوات موسى .

٢ - نبوات اشعياء .

٣ - نبوات ميخا .

٤ - جحود اليهود وعمى بصيرتهم .

٥ - شريعة الحياة .

٦ - دعوة الأمم .

٧ - مجيء المسيح في مجده .

٨ - النبوة عن خراب أورشليم .

٩ - مسئولية الإنسان .

مقدمة

يتميز الأدب الكنسى فى القرن الثانى بطابع الدفاع عن العقيدة المسيحية . فقد كان المسيحيون مطالبين باثبات صحة إيمانهم أمام اليهود وأمام الوثنيين ؛ لأن اليهود كانوا ينظرون إلى المسيحيين كوثنيين ، والوثنيون ينظرون إلى المسيحيين ككفرة. كانت الحكومة الرومانية تحكم حكماً صارماً على كل ديانة مضادة للديانة الرسمية ؛ وكان الشعب يطارد المسيحيين بحقده وافتراءاته ؛ وكان الفلاسفة يهاجمون التعاليم المسيحية باسم العقل . لذلك كانت مهمة الدفاع عن المسيحية هى الرد على هذه الاعتراضات . فأظهروا لليهود أن المسيحيين وحدهم لديهم القدرة على الفهم الحقيقى للكتب المقدسة ؛ وأثبتوا للأباطرة أن المعاملة التى كانوا يلقونها منهم معاملة ظالمة ؛ وبينوا للشعب وللفلاسفة طهارة الديانة المسيحية وامتيازها .

والقديس يوستينوس هو أهم الذين كتبوا دفاعاً عن الإيمان المسيحى فى القرن الثانى . فقد كتب خطاباً مفصلا وجهه إلى الامبراطور الرومانى انتونان[1] Antonin le Pieux يعترض فيه على الدعاوى المقامة ضد المسيحيين وبين عدم شرعيتها وجورها . ثم يشرع فى اثبات صحة الديانة المسيحية فيذكر فصولا طويلة من النبوات المتعلقة بالرب يسوع المسيح الكلمة المتجسد ؛ ويبين أن كل حياة المسيح سبق أن كتب عنها حتى كأنها كتبت سلفاً فى العهد القديم .

ويتكلم القديس يوستينوس عن التعاليم المسيحية وعن اجتماعات المسيحيين يوم الأحد وعن طقوس سر الشكر وسر العماد . وهو فى ذلك يعطينا معلومات تاريخية هامة عن الكنيسة فى عصرها الأول .

وقد قام بترجمة نص المخطوطة اليونانية إلى الفرنسية ونشرها سنة ١٩٠٤ العالم الكبير الدكتور « لويس بوتي »

Louis Pautigny, agrégé de l'Université .

والمعتقد أن هذا الخطاب جاء بالأثر المطلوب وساهم فى

---

(١) الامبراطور انتونان (٨٦ ـ ١٦١) تولى عرش الامبراطورية من سنة ١٣٨ حتى سنة ١٦١ م . وهو ابن الامبراطور هادريان Hadrien بالتبنى وخليفته . امتاز حكمه بالنزاهة والعدل ؛ وقد تبنى مرقس أوريليوس Marc - Aurèle .

تخفيف حدة الاضطهاد . فقد أصدر الامبراطور انتونان قراراً وردت فيه العبارات الآتية[1] :

« ولما كان الكثيرون من حكام المقاطعات قد كتبوا إلى أبي يخصوص المسيحيين ، وقد رد عليهم أنه لا يجب ازعاجهم . لم يثبت أنهم أتوا افعالا ضد الدولة . ولما كنت قد اقتنعت انا نفسي برده في هذا الموضوع ، فقد كان رأي أنه إذا كان أحد يتهم فقط بأنه مسيحي ، فيجب أن يخلى سبيله ، وأن يعاقب من يتهمه بحسب القوانين » .

وتظهر هذه الترجمة لأول مرة باللغة العربية منذ أن كتبها القديس يوستينوس في سنة ١٥٢ - ١٥٣ ميلادية .

وقد أتى المؤلف في الفصل عن النبوات وكذا عن تعاليم الرب يسوع المسيح بآيات عديدة من الكتاب المقدس ، فرأينا أن نبين موقعها في الأسفار الإلهية وعددها ليسهل الرجوع اليها .

وقد قسمنا الخطاب إلى فصول ووضعنا العناوين الضرورية وذلك في الإطار الذي اتخذه القديس لبناء حججه من أجل اثبات

(١) من مجموعة Les Petits Bollandistes ; Vies des Saints .

صحة إيمانه . كما قمنا بجمع المعاني المتشابهة ورتبناها مع الاحتفاظ بالمقصود في النص الوارد في المخطوطة .

ونظراً لأهمية الجزء الأكبر منها المتعلق بالنبوات الخاصة بمجيء المسيح وحياته وصلبه وموته وقيامته وصعوده ومجيئه الثاني المملوء مجداً ، ولتعدد النبوات التي ذكرها القديس يوستينوس ودقة تعليقاته العميقة ، ضمناها باباً على حدة .

ولقد كان سرورنا بالغاً عندما اهتدينا إلى مؤلفات القديس يوستينوس ، أولا لأنها من التراث المسيحي النفيس النادر إذ ترجع في القدم إلى القرن الثاني للميلاد ، وثانياً لأنها لم تترجم إلى اللغة العربية لغاية الآن مع أن مؤلفها علم باهر من أعلام المسيحية الأوائل وعامود من أعمدتها البارزة وصرح شامخ فيها مثل الصخر الراسخ في الأساسات . كما أن الصلة الزمنية بين القديس يوستينوس وبين القرن المسيحي الأول كانت لا تزال قائمة ، وسماتها في كتاباته ظاهرة ، وواقعة قديسيها يمكن أن تتلمسها بين السطور وما يفيض منها من الدرر ، ونجد عليها مسحة من باكورة المسيحية وضاءة مقدسة .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنه يندر أن يحمل أي كاتب من الكتاب في العالم أجمع العبارات اللفظية ما يمكن به توصيل كل

هذه المعانى المقدسة مثل العناقيد الشهية تزخر بالأقوال المحيية . وإن أمكن لكبار الكتاب أن يأتوا بأساليب مختلفة يظهر فيها بهرج اللفظ ورنين الكلمات ، فليس أحد منهم بقادر أن يصبغ عباراته بمثل هذه الصبغة المقدسة النادرة المتألقة لايرى جمالها وبهاء ورونقها إلا المؤمن الورع.

وكتبها الامبراطـــور الرومانى فى ذلك الوقت مبيناً سمو المسيحية فى بساطة وإيجاز ودقة وقوة وتدفق يأتى باللفظ اليسير ما يمكن التعبير عنه بالصفحات الطوال . وكان فى ذلك رائداً ومعلماً ومرشداً ومحامياً ذا دفاع مجيد فى تعبيره الفريد حتى أتت ثمارها الطيبة فى ذلك العهد السحيق . ونرجو أن يعم نفعها بعد أن نفضنا عنها غبار القرون فجاءت وضاءة تبهج الأنفس وتقر بها العيون. كما نسأله تعالى أن يجزل لنا من بركات واضعها وسائر الآباء القديسين الأولين ولعظمته تعالى الشكر دائماً آمين .

† † †

نبذة عن حياة القديس يوستينوس

ولد حوالى سنة ١٠٠م فى فلافيا نيابوليس Flavia Neapolis باليهودية ؛ وهى مدينة سيخم القديمة وهى نابلس الحالية . وكان أبوه برسكوس Priscos ، وجدّه باخويوس Baccheios وثنيين من أصل يونانى . وقد تربى فى ظل الديانة الوثنيـــة . ويروى بنفسه فى كتابه : « حوار من تريفون » Dialogue avec Tryphon كيف انتقل من الفلسفة إلى المسيحية . وكان ذلك فى مدينة أفسس فى عهد هادريان Hadrien . ثم طاف العالم على طريقة فلاسفة عصره مبشراً بإيمانه . وسكن روما فى عهد الامبراطور انتونان حيث استشهد فى زمن ولاية يونيوس رستكوس Junius Rusticus أى فيما بين سنة ١٦٣م وسنة ١٦٧ ميلادية .

† † †

نص خطاب القديس يوستينوس

إلى الامبراطور تيطس ايليوس هادريانوس انتونينوس بيوس ، القيصر الجليل .

إلى فيريسيموس الفيلسوف ابنه .

إلى لوسيوس بن قيصر بالطبيعة وابن بيوس بالتبنى ، الفيلسوف صديق المعرفة .

إلى مجلس الشيوخ الموقر .

إلى كل الشعب الرومانى .

لصالح البشر من كل جنس المكروهين والمضطهدين ظلماً ، وانى أحدهم ، انا يوستينوس بن برسكوس بن باخويوس ، من فلافيا نيابوليس بسوريا ، أوجه خطابى هذا والتماسى .

† † †

الباب الأول

دفاعه عن المسيحيين

فى هذا الجزء يتولى القديس يوستينوس بحججه القوية الدفاع عن المسيحيين ويدعو إلى توخى العدالة فى التحقيق . قال :

إن مَن كان حقاً تقياً حكيماً ، ويحب الحق وحده ويقدره يرفض التبعية للقدماء عندما تكون آراؤهم فاسدة . فإنه على صديق الحق أن يحافظ على العدالة فى كلماته وفى أعماله بكل وسيلة حتى ولو كان فى ذلك خطر على حياته .

فيا من تسمعون الناس فى كل مكان يدعونكم اتقياء حكماء حماة العدالة محبى المعرفة ، ليس لأجل تملقكم ولا لكى نحظى برضاكم كتبنا هذا المقال . لقد أتينا نطلب منكم محاكمتنا حسب العدالة بعد تحقيق كاف . فلا تحكموا منساقين وراء المزاعم الباطلة رغبة فى الوفاء لمروجى الإشاعات الخبيثة التى تثبت بمرور الزمن ، وأصحاب الخرافات العديمى التبصر .

أننا نوقن أنه لا أحد يستطيع أن يؤذينا إن لم نكن مذنبين يمكنكم أن تزهقوا أرواحنا .

وحتى لا تعتقدوا أن هذه إن هى إلا كلمات فى الهواء وتفاخر باطل ، فإننا نطلب تحقيق التهم الموجهة ضدنا . وأن تثبت صحتها تعاقب . وإذا لم يكن هناك لوم علينا ، فهل من

العدالة أن تحكموا على الأبرياء بناء على الشائعات الكاذبة ، انكم بالحرى تحكمون على أنفسكم إذا اخترتم الإنقياد للهوى وليس للعدالة فى تصرفكم فى الأمور .

ان كل إنسان حكيم يعترف بحق الرعايا فى اثبات براءة سلوكهم وكلماتهم من ناحية ، وبواجب الحكام أن يستوحوا التقوى والحكمة فى قراراتهم ، وليس العنف والاستبداد ، من ناحية أخرى . وهكذا يصبح الحكام ورعاياهم جميعاً سعداء .

فعلينا أن نعرض سيرتنا وتعاليمنا أمام أنظار الجميع ، خشية أن نحسب مسئولين أمام ضمائرنا عن الخطايا التى تصنعونها عن جهل إذا كنا لا نعرفكم بأنفسنا ، وعليكم إن تسمعونا وتحكموا بغير انحياز حسبما تقتضيه الحكمة . فاذا لم تراعوا العدالة بعد استنارتكم ، فسوف تكونون حينئذ بلا عذر أمام الله .

تهمة اسمية

أن الاسم ليس صالحاً ولا طالحاً ، إنما الأعمال المتعلقة بالاسم هى التى يجب أن نحكم فيها . فلو كان اسمنا هو تهمتنا ، لكنا أفضل الناس .

وانا لا نعتقد أنه يحق لنا أن نكون مبررين بناء على اسمنا

وحده إذا زللنا . على أنه أيضاً ، إذا ثبت أن أسلوب حياتنا لا تشوبه شائبة ، عليكم أن تبذلوا كل جهودكم حتى لا يطعن فى عدالتكم بمعاقبتكم الابرياء ظلماً . ولا يصح أن يكون الاسم وحده سنداً للمديح أو اللوم ، إذا لم يوجد فى الاعمال شيئاً يستحق المديح أو اللوم .

الاعتراف بالإيمان

أحرى بكم مع ذلك أن تعاقبوا الذين يتهموننا . تتهم بأننا مسيحيون ، فاذا أنكر أحدنا وقال أنه ليس مسيحياً ، تخلون سبيله بسبب انكم لا تروننه مذنباً . ولكن إن اعترف ، فان اعترافه ذاته يكون سبب الحكم عليه . ولذلك نحن نطالب بفحص سلوك من يعترف ومن ينكر ، حتى يبين كل واحد حقيقة أمره بأعماله .

ولاحظوا أننا نتكلم هكذا من أجل منفعتكم : إذ أنه فى استطاعتنا أن ننكر عندما نسأل .

لماذا لا يقدم المسيحيون الذبائح : —

اننا لا نريد أن نشترى الحياة بثمن الكذب . أننا نشتهى الحياة الأبدية غير الفاسدة ، ونفضل الحياة مع الله خالق الكون .

فإذا كنا لا نقدم ذبائح أو باقات ورد للأصنام التى صنعها

الناس وجعلوها فى الحياكل ، فذلك لأننا لا نرى مظهراً للألوهية فى هذه المادة عديمة الحياة .

ثم يستطرد القديس يوستينوس كلامه عن سخافة عبادة الأوثان ، فيقارن بين الوثنية والمسيحية ، ثم يعقب بالكلام عن نزاهة المسيحيين .

عرض نزاهة المسيحيين

يقول القديس يوستينوس فى خطابه للامبراطور أنه حينما تسمعون اننا ننتظر ملكوتاً ، تفترضون بغير تدقيق أن الأمر يتعلق بمملكة بشرية . لكننا نتكلم عن ملكوت الله . وأن ما يثبت ذلك هو أننا نرد على استلتكم بأننا مسيحيون فى حين أننا نعرف أن هذا الاعتراف سوف يؤدى بنا إلى الموت . فلو كنا ننتظر ملكوتاً أرضياً ، لكنا ننكر لكى ننقذ حياتنا ، ونختبىء حتى لا تخيب آمالنا . ولكن رجاءنا ليس فى هذا الزمن الحاضر ؛ ونحن لا نخاف أيضاً من جلادينا ؛ وعلى أى حال ، أليس الموت محتوماً ؟

عدم الخوف من الموت : —

ان الموت لا يخيفنا : وكل الناس يعلمون أنه لابد من الموت ولا جديد فى هذا العالم .

وإذا كان جلادونا يعتقدون أنه لا يوجد شيء بعد الموت، وأن الأموات يفقدون كل شعور، فهل هم يؤدون لنا خدمة بتخليصهم إيانا من آلام واحتياجات هذا الدهر؛ بل هم لا يسلمون من اللوم بسبب قساوتهم وعدم انسانيتهم لأنهم لا يقتلوننا لكي يخلصونا، إنما لكي ينزعوا عنا الحياة والسعادة.

انكم تجدون فينا أكثر الأصدقاء الأنصار حماساً لأجل السلام؛ لأنه بحسب تعاليم ديانتنا، لا يستطيع أحد أن يتهرب من الله، سواء أكان شريراً بخيلاً أو خبيثاً، أو كان رجلاً شريفاً ولكن كل واحد يذهب إلى العقاب الأبدي أو الخلاص الأبدي كنحو أعماله. لو كان كل الناس مقتنعين بذلك، لما رغب أحد أن يقترف ذنباً في لحظة ما، لأنه يعلم أنه سيلاقي العذاب الأبدي في النار، ولكان كل إنسان يضبط نفسه تماماً، ويزين نفسه بكل الفضائل حتى ينال الخيرات التي وعد بها الله، وينجو من العقاب.

مخافة الله طريق الاستقامة : —

ليس الخوف من قوانينكم ومن تعذيبكم هو ما يجعل المذنبين يبحثون عن طريقة ليختبئوا؛ فإنهم يعرفون أنهم يستطيعون أن يتهربوا منكم لأنكم بشر وهم يفعلون الشر.

ولكنهم لو علموا يقيناً أنه لا يخفى شيء على الله، سواء أكان علانية أو في السريرة أيضاً، فإن العقاب الذي يوشك أن يتهددهم يجعلهم يسلكون في تمام النظام. انكم توافقوننا أنتم أنفسكم على هذا الرأي.

يبدو حقاً انكم تخشون أن تروا كل الناس وقد صاروا فضلاء[1] وليس لكم من تضطهدون عليه. أن ذلك سلوك الجلادين وليس سلوك الأمراء الأخيار. وانا مقتنعون أن كل ذلك، كما قلنا، من عمل تلك الأرواح الشريرة التي يقدم لها الجهلاء الذبائح والعبادات. أما أنتم فتحبون التقوى والحكمة.

عبادة الله

وأي ذي رأي سديد لا يقر أننا لسنا كافرين؟ وإذ نعلم، كما تعلمنا ديانتنا، أن الله ليس في حاجة إلى دم ولا إلى ذبائح ولا إلى بخور، فنحن نسبحه حسب قوتنا بمدائح التقوى والشكر في كل ما نأكل. ان طريقة تكريمه الحقة، حسب ما تعلمنا، ليست في إحراق الأشياء التي جعلها الله لأجل معيشتنا، بلا فائدة، بل في استعمالها من أجل أنفسنا، وفي إشراك الفقراء فيها، وفي عبادته

(١) لو لم يضطهدوا المسيحيين وتركوهم يشرون مبادئهم السامية.

تعالى علانية وتقديمنا له تسابيح الشكر من أجل الحياة التى وهبها لنا ، ومن أجل عنايته لحفظ صحتنا ، ومن أجل خصائص كل الأشياء ، وتغيرات فصول السنة . أننا نطلب منه تعالى أيضاً الخلاص فى الدهر الآتى بسبب الإيمان الذى لنا فيه . وسوف نبين لكم أيضاً اننا نعبد ذلك الذى علمنا هذه الأمور، يسوع المسيح المصلوب فى زمن بيلاطس البنطى حاكم اليهودية فى زمن طيباريوس قيصر .

† † †

الباب الثانى

تعاليم الديانة المسيحية

انا نحذركم من الشياطين لئلا يخدعوكم ويمنعوكم عن فهم ما نكلمكم به. لاننا منذ آمنا بالله الكلمة المتجسد نبذنا عباداتهم.

الانتقال من الظلمة الى النور : —

فى الزمان الماضى، كنا نسر بالصور، أما اليوم فإن الطهارة هى كل ملذاتنا. كنا نستسلم للسحر، اما الآن فإننا نكرس أنفسنا لله الصالح. كنا نحب المال والممتلكات ونبحث عنها أكثر من كل شىء، اما الآن فإن كل أموالنا مشتركة يقاسمنا فيها الفقراء. كانت الاحقاد تفصلنا عن بعضنا البعض، وكانت الفروق بين العادات والتقاليد لاتسمح لنا بقبول الغريب فى بيتنا، اما اليوم بعد مجىء المسيح، فإننا نعيش معاً، ونصلى من أجل اعدائنا، ونحاول أن نكسب مضطهدينا الظالمين.

أرى انه يحسن ان نذكركم ببعض تعاليم المسيح لنفسه. وعليكم بفضل مقدرتكم وسلطانكم الامبراطورى، ان تحكموا إذا كانت التعاليم التى أخذناها ونسلمها هى تعاليم مطابقة للحق.

الطهارة

« كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها، مت ٥ : ٢٨ - ٢٩ . « خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من ان تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار، مر ٩ : ٤٧ .

« ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى، مت ٥ : ٣٢ .

« ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم. لانه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل، مت ١٩ : ١١ - ١٢ .

وهكذا ، فإن الذين بحسب القانون البشرى يعقدون زيجة مضاعفة، والذين ينظرون إلى امرأة ليشتهوها متساوون فى الذنب امام ربنا. فهو تعالى لا يمنع الزنا فحسب، بل يمنع نية الزنا ايضاً، لان أفكارنا معلومة لدى الله مثل اعمالنا.

ان رجالا ونساء كثيرين، إذ تعلموا منذ الصبا فى ناموس المسيح، ظلوا أنقياء حتى سن الستين والسبعين : وانى افتخر بأن أذكر لكم بعض أمثلة هؤلاء فى كل الطبقات . وهل يلزم أن اذكركم ايضاً بالعدد الغفير من اولئك الذين تركوا الرذيلة لكى يخضعوا لهذا التعليم ؟ والمسيح لم يدع الأبرار والأطهار للتوبة، بل الكفرة والمرذولين والاشرار. ألم يقل : « لم آت لادعو ابراراً بل خطاة إلى التوبة، مر ٢ : ١٧ . لان الأب السمارى يفضل توبة الخاطىء على معاقبته.

الرحمة والمحبة لكل الناس

وعن المحبـــة لكل الناس قال : « لأنه ان احببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون ايضاً يفعلون ذلك » مت ٥ : ٤٦ .

« وأما أنا فأقول لكم احبوا اعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجـــل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » مت ٥ : ٤٤ .

الصدقة :-

وعن واجب اعطاء الفقراء وعدم عمل أى شئ من أجل المجد الباطل يقول :

« ومن سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده » مت ٥ : ٤٢ .

« وان اقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم . فإن الخطاة ايضاً يقرضون الخطاة لكى يستردوا منهم المثل » لو ٦ : ٣٤ .

« لاتكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم

كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون » مت ٦ : ١٩ - ٢٠ .

« لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه » مت ١٦ : ٢٦ .

« فكونوا رحماء كما أن اباكم ايضاً رحيم » لو ٦ : ٣٦ .

« لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » مت ٥ : ٤٥ .

عدم الاهتمام بالأكل والشرب :-

« لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون . ولا لاجسادكم بما تلبسون . أليست الحيوة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس » مت ٦ : ٢٥ .

« انظروا إلى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن . وأبوكم السمارى يقوتها . ألستم انتم بالحرى أفضل منها » مت ٦ : ٢٦ .

« فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس » مت ٦ : ٣١ .

« لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها . لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » مت ٦ : ٣٢ : ٣٣ .

« لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضاً » مت ٦ : ٢١ .

« احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » مت ٦ : ١ .

الوداعة والتواضع

علينا أن نكون متواضعين، فى خدمة الجميع وودعاء؛ وإليكم التعاليم التى يعطينا إياها ربنا فى هذا الموضوع :

« من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر ايضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً » مت ٥ : ٣٩ - ٤٠ .

« كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » مت ٥ : ٢٢ .

« ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين » مت ٥ : ٤١ .

« فليضئ نوركم قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ١٦ .

نبذ العنف :-

لا يجب أن نأتى بأعمال العنف ؛ فإن الله لا يريد منا أن نقلد الأشرار ، لكنه يدعونا إلى الصبر والوداعة لكى ننزع الناس من دناءة الأهواء الشريرة . ويمكننا أن نذكر لكم أمثلة عديدة عن أشخاص عاشوا بينكم ، نبذوا عاداتهم العنيفة الاستبدادية ، إذ غلبهم منظر فضيلة جيرانهم الذى يرونه كل يوم ، غلبهم صبر زملائهم العجيب فى احتمال الظلم وغلبتهم الخبرة التى اكتسبوها من علاقاتهم بهم .

التمسك بالحق

يأمرنا المسيح ألا نحلف أبداً وأن نقول الصدق ، يقول :

« لا تحلفوا البتة » مت ٥ : ٣٤ .

« بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير » مت ٥ : ٣٧ .

عبادة الله وحده :-

ويعلمنا أنه لا يجب أن نعبد سوى الله وحده ؛ فيقول :

« تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى » مت ٢٢: ٣٧-٣٨.

« وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح » مت١٩:١٦.

« فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » مت ١٩:١٧ .

حفظ الوصايا : —

فالذين لا يحيون بحسب وصاياه ، لا تنظر إليهم كمسيحيين، حتى ولو أعلنوا تعاليم المسيح بأفواههم . لأنه وعد بالخلاص ليس للذين يقولون ، بل للذين يعملون . ويقول :

« ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات . بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات » مت ٧ : ٢١ .

« الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » يو ١٤:٢١ .

« كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ اصرح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » مت ٧ : ٢٢ - ٢٣ .

« هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » مت ١٣ : ٤٢ - ٤٣ .

« بينما يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار . ويطرحونهم فى أتون النار » مت ١٣ : ٤٩ - ٥٠ .

« احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم » مت ٧ : ١٥ - ١٦ .

« كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » مت ٧:١٩.

فعاقبوا إذن أولئك الذين لا يعيشون وفق هذه التعاليم، أنهم ليسوا مسيحيين سوى بالاسم فقط .

بشأن الأحكام والقوانين

نحن أول من يدفع الضرائب والجزية لمن تعينونهم لهذا العمل؛ فذلك أيضاً هى إحدى وصايا المسيح . فى ذلك الوقت جاء بعضهم يسألونه، أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا، مت٢٢:١٧ فردّ عليهم قائلا : « أرونى معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً .

فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة . قالوا له لقيصر. فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، مت ٢٢: ١٩-٢١.

أنا أعبد الله وحده . وفيما عدا ذلك نطيعكم معترفين أنكم رؤساء الشعوب ، ونسأل الله أن يعطيكم الحكمة والعقل مع السلطان .

فاذا كنتم تحتقروننا بالرغم من توسلاتنا بينما نحن نوضح كل شيء ، فلن نُضار من شيء ؛ لأننا نؤمن بل نحن مقتنعون أن كل واحد سوف يجزى حسب أعماله على قدر ما أخذ منه تعالى. والمسيح يقول : « فكل من أعطى كثيراً يطلب منه أكثر. ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر » لو ١٢: ٤٨ .

ثم يشرع القديس يوستينوس فى المقارنة بين تعاليم الديانة المسيحية وتعاليم الديانات الوثنيـــة وأساطير القدماء وأعمال السحرة ، وكيف أنه مع سمو التعاليم المسيحية ونقاء سيرة المسيحيين يعاقبهم الإمبراطور ولا يعاقب أولئك السحرة والمشعوذين والوثنيين السالكين فى الفجور والزنا وكل الأعمال الشريرة .

وبعد ذلك يشرع القديس يوستينوس فى ذكر النبـــوات المتعلقة بالمسيح كلمة الله المتجسد لكى يبرهن على صحـــة الديانة المسيحية . وسنأتى ببيان ذلك فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

الباب الثالث

طقوس الكنيسة فى العصور الأولى

الموعوظون

يقول القديس يوستينوس موجهاً كلامه للامبراطور الرومانى والآن سوف اشرح لكم كيف نكرس أنفسنا لله متجددين بالمسيح . فإننا لو أغفلنا هذه النقطة فى عرضنا ، نظهر مذنبين .

أولا: يتعهد الموعوظون بصحة تعاليمنا بأن يعيشوا بحسب هذه التعاليم . وحينئذ نعلمهم أن يصلوا وأن يطلبوا من الله مغفرة خطاياهم وهم صائمون . ونحن أنفسنا نصلى ونصوم معهم .

العمـــاد

ثم نقتادهم إلى المكان حيث يوجد الماء ، وهناك يتجددون بنفس الطريقة التى تجددنا نحن بها ، فيغتسلون فى الماء باسم الله الآب سيد كل الأشياء ويسوع المسيح مخلصنا والروح القدس . لأن المسيح قال : « إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » يو ٣ : ٣ .

بديهى أن الإنسان لا يستطيع « أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد » يو٣ : ٤. ويعلمنا اشعياء النبى كيف تمحى خطايا الخطاة التائبين . يقول :

« اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينىّ ، كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير . اطلبوا الحق . انصفوا المظلوم ، اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة .

هلم نتحاجج يقول الرب . ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . ان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف . إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض . وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم » أش ١ : ١٦ - ٢٠ .

واليكم التعليم الذى سلمه لنا الرسل فى هذا الموضوع :

فى ميلادنا الأول نولد جهلاء وبحسب قانون الضرورة من اجتماع والدينا ؛ ونأتى إلى العالم بعادات رديئة وميول شريرة . فلكى لا نبقى هكذا أولاداً للضرورة والجهل ، بل نصير أولاداً للاختيار والمعرفة ، ولكى ننال مغفرة خطايانا السالفة ، يذكرون اسم الله الآب سيد الكون على من يريد أن يتجدد فى الماء ويندم على خطاياه . وهذه التسمية وحدها هى بالضبط ما ينطق بها الكاهن الذى يقتاد إلى الحميم من يلزمه أن يغتسل .

فهل يمكن أن نعطى لله غير المنطوق به اسماً ؟ إن هذا الغسيل يدعى استنارة ، لأن الذين يقبلون هذا التعليم تكون أرواحهم

مستنيرة ؛ لأنه باسم الآب ويسوع المسيح الذى صلب أيام بيلاطس البنطى ، والروح القدس الذى نطق فى الأنبياء بكل تاريخ يسوع ، يغتسل المستنير .

سر الشكر

أما نحن فبعد أن يغتسل المؤمن المنضم إلينا ، نقتاده إلى حيث يجتمع من نسميهم اخوتنا . فنصلى بلجاجة صلوات عامة من أجلنا ، ومن أجل المستنير ، ومن أجل كل الآخرين فى أى مكان كانوا ، لكى تنال بمعرفة الحق ، نعمة ممارسة الفضيلة وحفظ الوصايا ، فنستحق بذلك الخلاص الابدى .

وعندما تنتهى الصلوات ، نقبّل بعضنا بعضاً بقبلة السلام . ثم يُحضرون إلى الذى يرأس الصلاة خبزاً وكأساً ويمزج الخمر والماء ، فيأخذها ويسبح ويمجد الله الآب والإبن والروح القدس ، ثم يقدم صلاة شكر طويلة عن كل الخيرات التى اخذناها منه . وبعد أن ينتهى من صلوات الشكر ، يصرخ كل الشعب الحاضر : آمين . وآمين كلمة عبرانية معناها ليكن هكذا . وبعدما يصنع الكهنة الخدام الافخارستيا ، ويرد كل الشعب ، حينئذ يوزع الخدام الخبز والخمر الممزوج بالماء المقدسة ويحملون منها إلى الغائبين .

إننا ندعو هذا الطعام « الافخارستيا » ، ولا يستطيع أحد أن يشترك فيه ، إن لم يكن مؤمناً بتعليمنا ، وإن لم يكن قد أخذ الحميم لأجل مغفرة الخطايا والتجديد ، وإن لم يكن يحيا بحسب مبادئ المسيح . لأننا لا نتناول هذا الطعام مثل خبز عادى وشراب عادى . وكما أن يسوع المسيح مخلصنا تجسد من أجل خلاصنا ، هكذا فإن هذا الطعام المقدس بالصلاة المكونة من ذات كلمات المسيح ، هو جسد ودم يسوع المسيح المتجسد : هذا هو تعليمنا .

والرسل فى مذكراتهم التى تدعى أناجيل ، يروون لنا أن الرب يسوع المسيح أوصاهم هكذا : أخذ خبزاً وشكر وقال : إصنعوا هذا لذكرى ، هذا هو جسدى . وأخذ أيضاً الكأس وشكر وقال : هذا هو دمى . وأعطاهم .

اجتماعات يوم الأحد

وفيما بعد نجدد ذكر هذه الأمور فيما بيننا . والذين لديهم الخيرات يساعدون المحتاجين ونعين بعضنا بعضاً فى كل تقدماتنا نبارك خالق الكون باسمه يسوع المسيح وبالروح القدس . وفى

اليوم المدعو يوم الشمس[1] ، يجتمع الجميع فى مكان واحد فى المدن وفى القرى : ونقرأ مذكرات الرسل (الأناجيل) وكتب الأنبياء على قدر مايسمح به الوقت . وعندما ينتهى القارئ من القراءة ، يخطب رئيس الاجتماع لكى يُنذر ويحث على التشبه بهذه التعاليم الجميلة . ثم نقوم جميعاً ونصلى معاً بصوت عال .

ثم كما قلنا ، بعد أن تنتهى الصلاة ، يُحضرون خبزاً وخمراً وماء . ويصعد الكاهن الصلاة والحمد والشكر إلى السماء على قدر استطاعته ، ويرد الشعب آمين . ثم يكون التوزيع وشركة القداسات لكل واحد ويرسل للغائبين .

والذين فى يسر ويريدون أن يعطوا ، يعطون بحرية ، كل واحد له أن يعطى ما يريد ؛ ويعطى ما يجمع الرئيس ، فيساعد اليتامى والأرامل والمرضى والفقراء والمسجونين والضيوف الغرباء ، وبالجملة يساعد جميع المحتاجين .

ونجتمع طوال يوم الشمس ، لأنه اليوم الأول الذى فيه أخرج الله المادة من الظلام ، وخلق العالم ؛ ولأنه فى هذا اليوم نفسه قام المسيح مخلصنا من الأموات وظهر لرسله وتلاميذه وعلمهم هذا التعليم الذى وضعناه أمامكم لتفحصوه .

(١) le jour du soleil ويقصد به يوم الأحد .

دعوة الإمبراطور إلى العدالة والحق

فإذا رأيتم أن ذلك مطابق للعقل والحق ، فخذوه فى الاعتبار لكن لا تحكموا بالموت على الأبرياء كأعداء . وأنا نحيطكم سلفاً أنكم لن تنجوا من دينونة الله القادمة إذا كنتم مقيمون فى الظلم . أما نحن فسوف نصيح قائلين : لتكن مشيئة الله .

يمكننا أن نستند إلى خطاب والدكم القيصر العظيم الشهير « هادريان » ، فنلتمس المحاكمة كما طلبنا . وما كنا لنطلب ذلك إذ نذكر قرار هادريان ، لكن لأننا نعلم بصواب قضيتنا ، فقد وجهنا إليكم هذا الالتماس وهذا الغرض . ومع ذلك فإننا نرفق به صورة من خطاب هادريان ، حتى تعلموا أننا فى هذه النقطة نقول الحق .

خطاب هادريان : إلى مينوشيوس فوندانوس :

قد استلمت خطاباً من سيرينيوس جرانيانوس سلفكم . ويبدو لى أن الأمر يتطلب التحقيق من أجل تجنب الاضطرابات والا نترك مجالا للتدابير الشريرة التى يحيكها المفترون . فإذا كان أهالى مقاطعتكم يستطيعون أن يدعموا حجتهم ضد المسيحيين

بالحقائق ويردوا على هيئة المحكمة ، فليتجهوا إلى هذا الأسلوب وحده ، على أن يمتنعوا عن الرجاءات والصراخ . ومن اللائق أكثر جداً، إن كان هناك اتهام أن تعرفوه. فإذا أنهم المسيحيون وثبتت مخالفتهم للقوانين ، فعاقبوهم بحسب خطورة المخالفة . ولكن إن كان الأمر مجرد حجة الافتراء ، فاعملوا تحقيقاً عن هذا العمل الأثيم وأقيموا العدل .

† † †

الباب الرابع

مخطوطات الانبياء

النبوات عن المسيح

كان الأنبياء يبشرون سلفاً بالاحداث المستقبلة ، وكانت نبواتهم يتحفظ عليها الملوك الذين تعاقبوا على عرش اليهودية بعناية وبالصيغة التى كتبها الأنبياء أنفسهم بها بخط يدهم باللغة العبرانية . وقد أسس بطليموس ملك مصر مكتبة أراد أن يجمع فيها مؤلفات كل الكتاب . فلما علم بهذه النبوات ، طلب من هيرودس ، ملك اليهودية فى ذلك الوقت ، أن يرسل إليه هذه الكتب ؛ فأرسلها هيرودس للملك بطليموس مكتوبة ، كما قلت ، باللغة العبرانية . ونظراً لأنه لم يوجد فى مصر من له دراية بهذه اللغة ، فقد طلب بطليموس من هيرودس أن يرسل إليه علماء لكى يقوموا بترجمتها إلى اليونانية . فكانت هذه الترجمات التى لا تزال موجودة بمصر ، ونجدها فى كل مكان بين أيدى اليهود . ولكنهم يقرأونها دون أن يفهموها . أنهم ينظرون إلينا كأعداء وخصوم : وهم فى ذلك ومثلكم يضطهدوننا ويقتلوننا عندما يستطيعون . ويمكنكم بسهولة أن تحصلوا على اثبات ذلك .

فى حرب اليهودية الأخيرة ، كان « باركوشيباس » Barcochébas رأس الفتنة ، يعذب المسيحيين وحدهم بأشد أنواع العذاب إن لم ينكروا الرب يسوع المسيح ويجدفوا عليه .

أننا نقرأ فى كتب النبوات أن يسوع المسيح يأتى ، يولد من العذراء وينمو ، يشفى كل مرض وكل سقم ، يقيم الموتى ، ومع ذلك ما كانوا يؤمنون . يُضطهد ويصلب ويموت ويقوم من الأموات ويصعد إلى السموات ، وهو ابن الله ، يرسل رسلا ليبشروا بهذه الأمور فى العالم أجمع ، وبالأخص الأمم الذين يؤمنون به . وهذه النبوات كانت منذ خمسة آلاف سنة وثلاثة آلاف وألفين وألف سنة وثمانمائة سنة قبل مجيئه ؛ إذ أن الأنبياء قد تعاقبوا من جيل إلى جيل .

حياة المسيح وموته وقيامته المقدسة

نبوات موسى

يقول موسى أول الأنبياء : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون[1] وله يكون خضوع الشعوب . رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن اتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه » تك ٤٩ : ١٠-١١ .

(١) أى أمان . وعند البعض معناها الذى له . أنظر حز ٢١ : ٢٧ (حاشية الكتاب المقدس) .

« مقلباً مقلباً مقلباً أجعله . هذا أيضاً لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه إياه » حز ٢١ : ٢٧ .

الخصوا بتدقيق تروا حتى متى كان لليهود رئيس وملك من أمتهم : كان ذلك حتى ظهور سيدنا يسوع المسيح الذى فيه كملت النبوات . هكذا تم ما تنبأ به روح الله القدوس بفم موسى ، أن القضيب لايزول من يهوذا حتى يأتى ذلك الذى له المملكة . أن يهوذا جد اليهود ، ويسمون يهوداً على اسمه . وأنتم بعد مجىء الرب ، قد ملكتم على اليهود وغزوتم كل أرضهم .

وهذه الكلمة : « وله يكون خضوع الشعوب » تعنى أنهم ينتظرون مجيئه الثانى فى كل الأمم . ويمكنكم أن تتحققوا من ذلك : فى كل الأمم يرجون المسيح المصلوب الذى من اليهودية ، فإنه بعد موته انتصرت جيوشكم على وطن اليهود .

وهذه الكلمة : « رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن اتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه » كانت رمزاً لما سوف يحدث للمسيح ولما كان يلزم أن يفعله هو ذاته .

كان عند مدخل القرية جحش مربوط فى كرمة . فجعل المسيح تلاميذه يحضرونه إليه ، وركبه ودخل جالساً عليه إلى أورشليم حيث كان الهيكل الذى هدمتموه فيما بعد . ثم صلب لكى يتم باقى النبوة .

لأن هذه الكلمة : « غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه »

كانت تنبىء عن الآلام التى كان يلزم أن يتحملها لكى يطهر بدمه المؤمنين به . فإن هذا الثوب الذى يتكلم عنه الروح القدس بفم النبى هو مجموع المؤمنين به الذين تسكن فيهم كلمة الله .

ودم العنب الذى يتكلم عنه ، يعنى إن من يلزم أن يأتى يكون له دم ليس من زرع بشر ، بل من قدرة الله .

نبوات أشعياء

وينبىء أشعياء بنفس الأمر بتعبير آخر فيقول : « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله » أش ١١ : ١ .

« ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم » أش ١١ : ١٠ .

هذا هو المسيح . ولد من عـــذراء من جنس يعقوب أبى يهوذا الذى كان كما رأينا ، جداً لليهود . وكان يسى أيضاً جداً للمسيح ، وهو ابن ليعقوب وليهوذا حسب ترتيب الأجيال .

لا عذر لليهود فى عدم الإيمان : —

أنظروا الآن كيف ينبىء أشعياء بلفظ واضح أنه يولد من عذراء . يقول : « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » أش ٧ : ١٤ .

هذا الأمر يبدو للناس غير معقول وغير ممكن؛ وهو بالضبط ما أتيا به الله، حتى لا يرفضوا الإيمان به عندما يحدث ذلك الأمر، بل يؤمنون بسبب النبوة.

فى ذلك الوقت بشر الملاك المرسل إلى العذراء بهذه العبارات «وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى» لو ١: ٣١ - ٣٢. «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» مت ١: ٢١.

ماذا نقال بمعرفتنا عن حياة المسيح: —

هذا ما تعلمناه من الذين رووا لنا حياة مخلصنا يسوع المسيح وأننا نؤمن به، وأن روح النبوة بشر بميلاده العتيد، كما قلنا، بفم أشعياء الذى تكلمنا عنه.

الاله القدير الابدى: —

بعد ميلاد المسيح، كان لابد أن يظل غير معروف من الناس إلى أن يصل إلى سن الرجولة. وهذا ما حدث بالفعل. اسمعوا ما كتب سلفاً فى هذا الموضوع. وهذه هى النبوة:

«لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» أش ٩: ٦.

المقصود هنا هو قوة الصليب الذى سند عليه كتفيه عندما صلب، كما سوف ترون بأكثر وضوح فيما بعد.

ويقول النبى أشعياء أيضاً بوحى من الله: «بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره» أش ٦٥: ٢. «يسألونى عن أحكام البر. يسرون بالتقرب إلى الله» أش ٥٨: ٢.

وأيضاً فى فصل آخر، يقول المسيح بلسان نبى آخر: «ثقبوا يدى ورجلى» مز ٢٢: ١٦ «يقسمون ثيابى وعلى لباسى يقترعون» مز ٢٢: ١٨.

إن الملك داود الذى قال هذه الكلمات لم يتحمل شيئاً من هذا. بل يسوع المسيح هو الذى بسط يديه عندما صلبه اليهود المعاندون الذين كانوا يزعمون أنه ليس المسيح. وكما أنبأ النبى قديماً شدوه من الجانبين وأجلسوه على عرش قائلين له: «أحكم لنا».

هذه الكلمة: «ثقبوا يدى ورجلى» تعنى أنه على الصليب كانت المسامير تثقب يديه ورجليه. وبعد أن صلبوه ألقوا قرعة على ثوبه واقتسمه الجلادون. ويمكنكم قراءة المحاضر الرسمية التى تروى ما حدث فى عهد بيلاطس البنطى لتحققوا بأنفسكم.

أراد يسوع المسيح من أجلنا أن يتأنس ويتحمل الآلام ، وسيأتي ثانياً في مجده . اسمعوا النبوات :

« سكب للموت نفسه وأحصى مع اثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين » أش ٥٣ : ١٢.

« هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتفع ويتسامى جداً . كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم . هكذا يذضح أمماً كثيرين . من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهمـــوه .

من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب . نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه . محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به .

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا .

ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ » أش ٥٣ : ٨ - ١٣ .

فعندما صُلب تركه كل تلاميذه وأنكروه . وبعد أن قام من الأموات ظهر لهم وعلمهم كيف يقرأون النبوات التي كانت تخبر بكل هذه الأمور ؛ ورأوه يصعد إلى السماء ؛ فامتلأوا إيماناً ولبسوا القوة التي أرسلها لهم من الأعالي وذهبوا إلى العالم لكي يعلموا الناس ودعوا رسلا .

نبوات ميخا

وعن مكان ميلاده ، اسمعوا كيف أنبأ بذلك نبي آخر هو ميخا النبي . وها هي كلماته :

« لأنه هكذا مكتوب بالنبي . وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل » مت٢ : ٥ - ٦ .

« أما أنت يا بيت لحم افراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » ميخا ٥ : ٢ .

أن بيت لحم مدينة صغيرة فى اليهودية على بعد خمسة وثلاثين غلوة من أورشليم . هناك ولد المسيح : ويمكنكم ان تتأكدوا من ذلك من سجلات تعداد « سيرينيوس Cyrénius أول حاكم لليهودية تابع لكم .

جحود اليهود وعمى بصيرتهم

وحينما تسمعون الأنبياء ينطقون هكذا باسمائهم الخاصة « فلا تعتقدوا أن هؤلاء الأشخاص الملهمين هم الذين يتكلمون ، بل كلمة الله يحركهم . هذا ما لم يفهمه اليهود الذين عندهم وبين أيديهم كتب الأنبياء . لم يعرفوا المسيح حتى بعد مجيئه لكننا نؤمن بمجيئه وتبين حسب الأنبياء أنهم صالبيه، لذلك يطاردوننا بحقدهم .

الويل للأئمة : —

وحتى يكون ذلك واضحاً لديكم ، إليكم الكلمات التى نطق بها الله الآب على لسان أشعياء النبى . يقول :

« الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه . أما اسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم . ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الاثم نسل فاعلى الشر أولاد مفسدين . تركوا الرب » أش ١ : ٣ - ٤ .

وفى مكان آخر : « السموات كرسى والأرض موطئ قدمى . أين البيت الذى تبنون لى وأين مكان راحتى » اش ٦٦ : ١ .

وأيضاً فى مكان آخر : « رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى » أش ١ : ١٤ .

لست أطيق الاثم والاعتكاف » أش ١ : ١٣ .

« حين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وان اكثرتم الصلاة لا اسمع . أيديكم ملآنة دماً » أش ١ : ١٥ .

« ويدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر . حينما تأتون لتظهروا أمامى من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دورى . لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لى » أش ١ : ١١ - ١٣ .

« أليس هذا صوماً اختاره حل قيود الشر . فك عقد النير واطلاق المسحوقين احراراً وقطع كل نير . أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك » أش ٥٨ : ٦ - ٧ .

وهكذا ينطق روح النبوة عن المسيح ؛ يقول : « بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره » أش ٦٥ : ٢ .

وأيضاً : « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين . وجهى لم أستر عن العار والبصق . والسيد الرب يعينى لذلك لا أخجل . لذلك جعلت وجهى كالصوان وعرفت انى لا أخزى . قريب هو الذى يبررنى » أش ٥٠ : ٦ - ٨ .

وأيضاً يقول: «ثقبوا يدى ورجلى» مز٢٢ :١٦. «يقسمون ثيابى وعلى لباسى يقترعون» مز ٢٢ : ١٨ . «أنا اضطجعت ونمت . استيقظت لأن الرب يعضدنى» مز ٣ : ٥ .

مهازل اليهود : —

وأيضاً : «كل الذين يرونى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به» مز٢٢ : ٧ - ٨ .

كل هذا صنعه اليهود بالمسيح : ويمكنكم أن تتحققوا من ذلك فعندما كان على الصليب، كانوا يحركون شفاههم ويهزون رؤوسهم قائلين : «خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختاراته» لو ٢٣ : ٣٥ .

مباهج الخلاص : —

اسمعوا أيضاً النبوة عن أن المسيح يشفى كل الأمراض ويقيم الموتى : «هو يأتى ويخلصكم . حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تنفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس» أش ٣٥ : ٥ - ٦ .

أما أنه أكمل هذه المعجزات ، فإن وثائق بيلاطس البنطى تعطيكم اثباتاً لذلك . وقد اخبرت النبوة أيضاً أنه سوف يُقتل وكذلك الذين يرجونه .

ايمان الشعوب وكفر اليهود : —

ويخبر أيضاً أشعياء النبى نفسه بأن شعوب الامم الذين لم يكونوا ينتظرونه سوف يعبدونه ، وأن اليهود الذين انتظروه دائماً سوف لا يعرفونه عند مجيئه . وهذه كلماته :

«اصغيت إلى الذين لم يسألوا . وجدت من الذين لم يطلبونى قلت هأنذا هأنذا لأمة لم تسم باسمى بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره، شعب يغيظنى بوجهى دائماً يذبح فى الجنات ويبخر على الآجر» أش ٦٥ : ١ - ٣ .

فاليهود الذين كانت عندهم النبوات وكانوا دائماً ينتظرون المسيح ، لم يعرفوه عند مجيئه . بل فعلوا أكثر من ذلك إذ قتلوه وعلى النقيض من ذلك فإن الامم الذين لم يسمعوا قط عن المسيح إلى اليوم الذى فيه بشرهم به رسله الذين خرجوا من أورشليم وسلموهم النبوات ، انكروا أصنامهم واضحوا مملوئين سروراً وإيماناً وكرسوا أنفسهم للمسيح .

أما عن الافتراءات ضد المعترفين بالمسيح ، وعن ويل الذين يلعنونه ويزعمون أنه من واجبهم المحافظة على التقاليد القديمة ، فاسمعوا أشعياء كيف أخبر بها بكلمات قليلة قائلا :

«ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً الجاعلين المر حلواً والحلو مراً» أش ٥ : ٢٠ .

شريعة الحياة

عندما يخبر روح النبوة بالمستقبل يقول: «من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فى ما بعد» اش٢: ٣-٤.

لقد تحققت هذه الكلمات ويمكنكم أن تنظروا ذلك . فقد خرج اثنا عشر رجلا من أورشليم ليطوفوا العالم . كانوا رجالا بسطاء لا يعلمون كيف يتكلمون : ولكنهم باسم الله بشروا كل العالم بأنهم مرسلون من المسيح لكى يعلموا الجميع كلمة الله . ونحن الذين كنا قديماً لا نعرف شيئاً سوى أن نقاتل بعضنا بعضاً ، نعترف بفرح بالمسيح ونموت . ومع ذلك كان من السهل علينا أن نفعل كما يقال : حلف اللسان وليس القلب .

بينما يضحى جنودكم الذين يثقون بكم ، من أجل الأمانة الواجبة لكم أنتم الذين لا تستطيعون أن تميزوهم بغير الغايات، يضحون بحياتهم وأعمالهم وكل مصالحهم؛ فإنه من المستغرب حقاً الا نكون نحن الذين نتوق إلى الخلود غير مستعدين أن نتحمل كل شئ لكى ننال الثواب المرغوب فيه من ذلك الذى يستطيع أن يمنحه لنا .

مواهب النبوة للبشر : —

اسمعوا ماقاله الذين نادوا بتعاليم الذين اتوا بمجيئه. يقول الملك داود بالوحى الإلهى :

« يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدى علماً. لا قول ولا كلام لا يسمع صوتهم . فى كل الأرض خرج منطقهم والى أقصى المسكونة كلماتهم . جعل للشمس مسكناً فيها . وهى مثل العروس الخارج من حجلته. يبتهج مثل الجبار للسباق فى الطريق» مز١٩: ٢-٥

حسن وموافق أن نزيد نبوات أخرى من داود النبى إلى هذه الكلمات . ترون شريعة الحياة التى يعطيها روح النبوة للناس ؛ وكيف يخبر بتحالف هيرودس ملك اليهود مع اليهود أنفسهم ومع بيلاطس نائبكم فى اليهودية ومع جنوده ضد يسوع المسيح ؛ وكيف يقول إن كل جنس البشر يلزم أن يؤمنوا به ؛ وأن الله يدعوه ابنه ويتعهد بأن يُخضع له كل اعدائه .

عدم اطاعة الشياطين : —

تحاول الشياطين على قدر استطاعتها أن تهرب من سلطان الله الآب سيد كل الأشياء وسلطان المسيح ؛ وأخيراً كيف يدعو الله كل الناس إلى التوبة قبل أن يأتى يوم الدينونة. وهذه كلمات داود النبى

« طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس . لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا . فيكون كشجرة

مغروسة عند مجارى المياه . التى تعطى ثمرها فى أوانه . وورقها لايذبل . وكل ما يصنعه ينجح . ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح . لذلك لا يقوم الأشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الأبرار . لان الرب يعلم طريق الابرار . أما طريق الأشرار فتهلك » مز ١ .

« لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى أنت إبنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم .

فالآن ياأيها الملوك تعقلوا . تأدبوا ياقضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الإبن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » مز ٢

ملك المسيح :-

وفى نبوة أخرى يخبر الروح القدس عن طريق داود نفسه بأن المسيح سوف يملك بعد أن يصلب . ها هى كلماته :

« رنموا للرب ترنيمة جديدة رنمى للرب يا كل الأرض .

رنموا للرب باركوا اسمه بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه . حدثوا بين الأمم بمجده بين جميع الشعوب بعجائبه . لان الرب عظيم وحميد جداً مهوب هو على كل الآلهة . لان كل آلهة الشعوب أصنام أما الرب فقد صنع السموات . بحد وجلال قدامه . العز والجمال فى مقدسه . قدموا للرب ياقبائل الشعوب قدموا للرب مجداً وقوة قدموا للرب مجد اسمه . هاتوا تقدمة وأدخلوا دياره . اسجدوا للرب فى زينة مقدسة . أرتعدى قدامه يا كل الارض . قولوا بين الأمم الرب قد ملك (على خشبة) » مز ٩٦ : ١ - ١٠ .

الأحداث المستقبلة :-

وأحياناً يخبر روح النبوة بالأحداث المستقبلة كأنها حدثت بالفعل ؛ ولقد رأينا ذلك فيما سبق . وحتى لايتخذ القارىء من ذلك مادة للاحتجاج ، نقول محرجاً لذلك أن هذه الأحداث قد تقررت بصفة نهائية ، وأتيا بها كأنها تمت .

وثابت أن داود تنبأ بالنبوة التى ذكرت قبل صلب المسيح بألف وخمسمائة سنة : ولم يصلب أحد من قبله من أجل خلاص الشعوب ، كما لن يصلب أحد من أجل ذلك . لقد صلب المسيح ومات وقام وصعد إلى السماء حيث يملك ، وبشر الرسل فى العالم أجمع بالخبر السعيد الذى يكون موضوع مسرة الذين ينتظرون حياة الخلود التى وعد بها .

دعوة الأمم

أن روح النبوة يدعو كل أجناس الناس أمماً ما عدا سبطى اليهودية والسامرة فيدعيان اسرائيل وبيت يعقوب . وكما تنبأ الأنبياء فسوف يكون المؤمنون من الأمم أكثر من اليهود والسامريين ، ونذكر النبوة التالية :

« ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد أشيدى بالترنم أيتها العاقر التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب » أش ٥٤ : ١ .

هذه المستوحشة هى الأمم الذين كانوا لا يعرفون الإله الحق الذين كانوا يعبدون أعمال أيدى الإنسان. أما اليهود والسامريون الذين كانوا قد أخذوا كلمة الله من الأنبياء ، وكانوا ينتظرون المسيح ، فلم يعرفوه عند مجيئه ، فيما عدا عدد قليل يخبرهم روح النبوة بأشياء فيقول :

« لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة » رو ٩ : ٢٩ .

أما سدوم وعمورة فهما مدينتان شريرتان يتكلم عنهما موسى وقد أهلكهما الله بالنار والكبريت . ولم ينج منهما أحد سوى رجل كلدانى غريب يدعى لوط هرب منها مع بناته. وظلت ديارهم خربة محترقة جدباء : ويمكن لمن يريد التحقق من ذلك .

كان الله يعلم أن الأمم سوف يكونون أكثر اخلاصاً وأكثر أمانة من اليهود . ويشهد بذلك أشعياء النبى إذ يقول إن إسرائيل أغلف القلب وأما الأمم فليسوا أغلف سوى باللحم.

مجىء المسيح فى مجده

ويقول روح النبوة لكى يبين لنا أن الذى أحتمل هذه الآلام هو نفسه غير المنطوق به الذى يملك على أعدائه :

« وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبى . وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش .

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . أن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفة يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها لذلك اقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » أش ٥٣ : ٨ - ١٢ .

صعود المسيح ومجيئه الثانى : —

انظروا كيف كان يلزم أن يصعد إلى السماء حسب النبوات. فقد قيل : « ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد .

الرب القدير الجبار الرب الجبار فى القتال » مز ٢٤ : ٧ - ٨ .

وأيضاً يأتى ثانية فى مجده . اسمعوا قول الكتاب : « فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله » مت ١٦ : ٢٧ .

الإيمان بالنبوات المستقبل : —

لقد بينا أن كل الأحداث التى تمت فى الماضى سبق أن أخبر عنها الأنبياء . يلزم إذن أن نؤمن أيضاً ان كل ما انبأوا عنه فيما يختص بالمستقبل لابد أن يصير . ان الأحداث السابقة التى لم تكن معروفة إلا بالنبوات قد تمت . وسوف يكون الأمر كذلك أيضاً فيما يختص بالأمور الأخرى ؛ سوف تحدث بالرغم من جهل البعض وعدم إيمان البعض .

الإيمان بالمجىء الثانى والخلود : —

لقد انبأ الأنبياء بمجىء المسيح الثانى . فمجيئه الأول تم كإنسان محتقر وتحت الآلام . أما مجيئه الثانى فسوف يكون كما هو مكتوب يأتى من السماء فى مجد مع جيش ملائكته . حينئذ يقيم أجساد كل الناس الذين وجدوا ، وسوف يُلبس الأبرار الخلود ، وسوف يرسل الأشرار إلى النار الأبدية ليتعذبوا مع الشياطين إلى الأبد . وإليكم بيان هذه الأحداث المستقبلة من نبوات الأنبياء .

يقول حزقيال النبى : « وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه . ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد

عليها من فوق » حز ٣٧ : ٧ - ٨ .

نهاية الأشرار : —

عن عقاب الأشرار وعذابهم فاسمعوا ما قيل ايضاً فى هذا الموضوع : « دودهم لا يموت والنار لا تطفأ » مر ٩ : ٤٤ . « دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ » أش ٩ : ٢٤ .

وحينئذ يندمون ولكن بلا فائدة . وما سوف يقول له اليهود وماذا يفعلون حينما يرون المسيح آتيا فى مجده يخبرنا زكريا النبى عنه بهذه العبارات :

« فينظرون إلى الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره » زك ١٢ : ١٠

« فى ذلك اليوم يعظم النوح فى أورشليم » زك ١٢ : ١١ .

« وتنوح الأرض عشائر عشائر على حدتها » زك ١٢ : ١٢ .

النبوة عن خراب أورشليم

اسمعوا كيف يخبر روح النبوة بخراب أرض اليهودية . انه يضع هذه الكلمات فى فم الشعوب المتعجبين لهذا الخراب :

« صهيون صارت برية وأورشليم موحشة . بيت قدسنا وجمالنا حيث سبحك آباؤنا قد صار حريق نار وكل مشتهياتنا صارت خراباً . الأجل هذه تتجلد يارب . أتسكت وتذلنا كل الذل » أش ٦٤ : ١٠ - ١٢ .

وتعلمون جيداً أن أورشليم صارت خربة حسب النبوة . وعن خراب المدينة وعن منع الجميع من العودة للسكن فيها ، يقول اشعياء النبى :

« بلادكم خربة . مدنكم محرقة بالنار . أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهى خربة كانقلاب الغرباء » اش١ : ٧ .

أنتم تعلمون جيداً بالأمر الذى قد أصدرتموه بألا يترك فى المدينة أحد وأن يعاقب كل يهودى يضبط وهو يحاول الدخول إليها بالموت .

غلبة المسيح : —

صعد المسيح إلى السماء بعد قيامته . وسوف يضرب اعداءه الشياطين ويكمل عدد المختارين الابرار والصديقين الذين بسببهم لم يسلم العالم بعد إلى الحريق . اسمعوا داود النبى يتنبأ عن هذه الاحداث : « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تسلط فى وسط اعدائك . شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينة مقدسة » مز ١١٠ : ١ - ٣ .

قبول الكلمة وتعليمها : —

هذه الكلمات : « يرسل الرب قضيب عزك من صهيون » تخبر بالكلمة الفعالة التى بشر بها الرسل الخارجين من أورشليم فى كل مكان ، وبالرغم من الموت الذى يتهدد الذين يعلمون أو فقط

يعترفون باسم المسيح ، فنحن فى كل مكان نقبل هذه الكلمة ونعلم بها .

فإذا كنتم تقرأون هذه الصفحات كأعداء ، فنحن نكرر لكم أنه لا يمكنكم أن تقتلونا . لن يصيبنا ضرر . اما أنتم وكل الذين يكرهوننا ظلماً ، فإن لم تتوبوا ، فسوف يكون مصيركم النار الابدية .

مدارج الايمان : —

ويمكننا أن نذكر نبوات أخرى كثيرة ، لكننا نتوقف هنا ، واثقين أن تلك التى ذكرناها تكفى لإقناع الذين لهم آذان للسمع فيفهمون . ونعتقد أنه يمكنهم أن يروا بأنفسهم أننا نستطيع أن نثبت ما نقول .

فكيف كنا نؤمن بأن المصلوب هو إبن الله المولود قبل كل الدهور ، وأنه سوف يدين كل الجنس البشرى ، ان لم نكن قد رأينا كل النبوات الخاصة به التى تنبأ بها الانبياء قبل تجسده قد تحققت نقطة نقطة : خراب اليهودية ، والناس من جميع الامم يعتنقون تعليم رسله وينكرون العادات القديمة التى كانوا فيها تائهين

وقد أصبحنا نحن أنفسنا وكل هذا الجمع من الامميين ، مسيحيين أكثر عدداً وأكثر اخلاصاً من اليهود أو السامريين أصلا .

تستطيع كل هذه الشهادات بالتأكيد أن تأتى بالإيمان وافتتاح العقل عند الذين يحبون الحق ، الذين ليسوا عبيداً لاهوائهم ولا للآراء الفاسدة .

ثم يشرع القديس يوستينوس فى تفنيد آراء الوثنية وأساطير القدماء، ويعزوها إلى الشياطين.

مسئولية الإنسان

ولا يزعمن أحد، تبعاً لما قيل، اننا نعتقد ان تحقيق ما لابد ان يكون إنما هو بسبب القدر. وإليكم ردنا على هذا الزعم.

ان كل إنسان سوف يعاقب أو يثاب حسب اعماله: لقد تعلمنا هذا التعليم من الانبياء، ونؤمن أنه حق. فإن لم يكن الأمر كذلك، وكان كل شئ من عمل القدر، لما كانت هناك حرية فى التصرف. ولو كان القدر يريد أن يكون هذا صالحاً وذاك طالحاً، لما استحق هذا مديحاً، وذاك لوماً. ولو كان الإنسان لايستطيع باختيار إرادته الحرة ان يتجنب الشر ويصنع الخير، لكان غير مسئول عن اعماله اطلاقاً.

ولكن مما يبرهن على أن الإنسان يصنع الخير والشر بحريته اننا نرى الشخص ذاته ينتقل من النقيض إلى النقيض. فلو كان مقدراً له أن يكون صالحاً أو طالحاً، لما كانت هناك مثل هذه التغيرات فى سلوكه، ولما كان يتغير باستمرار، ولما كان هناك اناس فضلاء وآخرون اردياء. طالما أن القدر سبب الخير والشر فى نفس الوقت وكان القدر نفسه متناقضاً مع ذاته، وايضاً لكان يلزم أن نعترف، كما ذكرنا، أن الخير والشر ليسا شيئاً، وأن

مسألة الفضيلة والرذيلة هى مسألة وجهة نظر. ولكن العقل السليم يقول أن فى ذلك كفراً وظلماً مقوتاً.

وفى نظرنا أن القضاء المحتوم الحقيقى هو المثابة العادلة للخير والعقاب العادل للشر. ولم يخلق الله الإنسان مثل باقى الكائنات، من الأشجار وذوات الاربع التى لانستطيع أن نفعل شيئاً بحريتها؛ وإن كان الإنسان صالحاً بطبيعته لايختار الخير من نفسه، لما استحق ثواباً أو مديحاً. وكذلك لا تكون معاقبته عن اخطائه عـــدلا إن لم تكن إرادية، وإن لم يكن هو نفسه يستطيع أن يكون شيئاً آخر سوى ما هو.

ويقول اشعياء النبى بوحى من الله الآب سيد الخليقة:

«اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر افعالكم من أمام عينى كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير. اطلبوا الحق انصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة.

هلم نتحاجج يقول الرب. ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. ان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف. ان شئتم وسمعتم تأكلون خيرات الارض. وان أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم» أش ١: ١٦-٢٠.

هلاك الخطاة :-

هذه الكلمة: «تؤكلون بالسيف» لاتعنى أن العصيان سوف يعاقب بالسيف؛ فسيف الرب هو النار التى سوف تأكل الذين

فضلوا الشر. لذلك يقول: «توكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم». فلو كان قد أراد الكلام عن السيف الذى يقطع ويقتل فى الحال، لم قال «توكلون»؟

ماذا اخذ الفلاسفة من الأنبياء؟ —

وحينما يقول افلاطون: (ان الخطأ هو خطأ الرجل الحر الذى يختار، والله ليس السبب فى ذلك) فهو يأخذ هذه الكلمة عن موسى النبى. لأن موسى أقدم من كل الكتاب اليونانيين. وكل ما قاله الفلاسفة والشعراء عن خلود النفس، والعقاب الذى يتبع الموت، والتأمل فى الامور السماوية، والعقائد الاخرى، قد أخذوا مبادىء عن الانبياء. وهكذا استطاعوا إدراكها وذكرها اننا نجد بذار الحق عند جميعهم؛ ولكن مما يثبت لنا إنهم لم يفهموا جيداً هو أنهم يناقضون أنفسهم.

قضية القدر والفهم والتبصر: —

فإذا كنا نقول أن المستقبل قد أبى عنه، فإننا لا نريد بذلك أن نقول أن قانون القدر يتسلط على كل شىء. ان الله يعرف سلفاً كل ماسوف يفعله الناس، ونظراً لأنه قرر أن يعطى كل واحد كنحو اعماله، وأن يعاقب عن الاخطاء المقترفة ضده، فهو تعالى يخبر بروح النبوة بالمستقبل، حتى يدعو الناس إلى الفهم ويذكرهم وهكذا يبين عنايته واهتمامه بهم.

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٦٢٤ لسنة ١٩٧١